Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 3, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد ١٤, العدد ٣ / الرقم المعياري ٢٧٠٧-٥٦٧٢

الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانيّة: النظرية التصوريّة لجورج لايكوف ومارك جونسون إنموذجًا

أ.د. ماجد عيّال وهيّب

أسيل حمود حايف

AseelHamoudHaifKhudiar@utq.edu.iq

مديرية تربية ذي قار/ قسم الإشراف التربوي ، الناصرية ، العراق

قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة ذي قار ، الناصرية ، العراق

الملخص

احتلت الاستعارة موقعًا متميزًا بين مباحث علم الدلالة العرفانيّ ؛ لأنّها تمثّل آلية ذهنية إفهاميّة ، تؤدي دورًا يوازي الدور الذي تؤديه حواسنا البشرية . ولا يقتصر وجود الاستعارة على اللغة الابداعية ، بل إنّها موجودة في تفكيرنا، وفي أعمالنا ، وفي سلوكنا ، ويستعملها الجميع حتّى الأطفال وفي مراحل عمرية مبكرة ، فنحن نحيا بالاستعارة . وقد تتجلى الاستعارة من خلال اللغة ، إلا أنّ موقعها الأساس هو الذهن، فهناك فرق بين التصور الاستعاري والتعبير الاستعاري (اللُّغويّ) . وفضلًا عن تجلّيها من خلال اللغة ، فإنّ لها تجلّيات غير لُغويّة ، كحضورها في الأساطير ، والرؤى ، والأحلام ، والأعمال الأدبية، والرسوم المتحركة وغيرها. فهي وسيطٌ بين الذهن وبين العالم ، وهي وسيلتنا لتنظيم العالم من حولنا .

وقد ظهرت نظرية الاستعارة التصورية لأول مرة ، في كتاب ألفّه جورج لايكوف ومارك جونسون عام ١٩٨٠م بعنوان (الاستعارات التي نحيا بها) و عُدّت الأفكار التي ظهرت في الكتاب ، أطروحات ثورية مجددة في النظر إلى الاستعارة خلافًا لما كان معهودًا في الدراسات الكلاسيكيّة التي حصرت وجود الاستعارة في ميدان الشعر ، و عدّت ما سواها غير جدير بالدرس؛ لأنّه مبذول بين الناس ولا ينمُّ عن إبداعٍ ، أو تميّزٍ

الكلمات المفتاحية : (اللسانيات العرفانيّة ، الاستعارة ، المجال التصوري ، الاسقاط التناسبي)

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 3, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد ١٤, العدد ٣ / الرقم المعياري ٢٧٠٧-٥٦٧٢

Metaphor in the light of mystical linguistics the conceptual theory of George Laykoff and Mark Johnson as a mode

Prof. Majed Ayyal Whaib
Aseel Hamoud Haif
AseelHamoudHaifKhudiar@utq.edu.iq
Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, University of Thi-Qar, Nasiriyah, Iraq

Abstract

Metaphor occupied a privileged position among the investigations of mystical semantics because it represents an understanding mental mechanism that plays a role parallel to the role played by our human senses. The existence of metaphor is not limited to creative language, but it is present in our thinking, and in our actions, and in our behavior, and is used by everyone, even children and in early ages, we live by metaphor. Metaphor is manifested through language, but its main location is the mind, there is a difference between metaphorical perception and metaphorical expression (linguistic). In addition to its manifestation through language, it has non-linguistic manifestations, such as its presence in myths, visions, dreams, literary works, animation and others. It is a mediator between the mind and the world, and it is our means of organizing the world around us

The theory of conceptual metaphor appeared for the first time, in a book written by George Laikoff and Mark Johnson in 1980 entitled (The metaphors we live by) and the ideas that appeared in the book were considered revolutionary theses renewed in looking at metaphor, contrary to what was typical in classical studies that limited the existence of metaphor in the field of poetry.

Keywords: mystical linguistics, metaphor, Conceptual field, proportional projection

المقدمـــة :

لم يركّز العرفانيون على اللغة ، ولم تكن قطب الرحى في دائرة اهتماماتهم ، إلا لأنّها مثّلت ((أهم المظاهر التي يمكن أن تكشف عن طبيعة الذكاء البشري))[١]. فاللُّغة وفق المنظور العرفاني ليست مَلَكة مستقلة عن سائر الملكات العرفانية الأخرى ، كالإدراك ، والذاكرة ، والانتباه ، بل هي منفتحة عليها ، كما تتميز عنها جميعًا ، بأنّ لها القدرة على كشف جوانب من تلك الظواهر أو الملكات الذهنية [٢].

وتناول اللسانيون العرفانيون اللغة بطريقة اللساني وعالم النفس ، والفيلسوف ، وطبيب المخ والأعصاب والبيولوجي ، والفيزيائي ، والحاسوبي ، والمختص في مجال الذكاء الاصطناعي مجمعين معًا . وبوسعنا الاهتداء إلى ذلك ، بمجرّد أن نتصفح أحد مصادرهم فتداهمنا ، الخطاطات ، والرموز ، والصور التشريحية للدماغ ،فضلًا عن استعمالهم المصطلحات العلمية الرياضية وما إلى ذلك ؛ ونتيجة لذلك الامتزاج والتداخل بين التخصصات في تناول اللغة ، فقد اصطبغت النظرية اللسانية العرفانية بصبغة ذهنية ، كانت ترجمةً ، وانعكاسًا للسعي الذي نشأت من أجله العلوم العرفانية أساسًا ، واتحدت بموجبه تخصصات متنوعة كلّها كانت تسعى لإيجاد إجابة دقيقة لسؤال أزلي مفاده : ما هو العقل؟ وكيف يعمل ؟

انطلقت العلوم العرفانية ، حالها في ذلك حال العلوم الأخرى ، من عددٍ من الأسس ، أو المسلَّمات ، شكّلت قاعدة الهرم المعرفي فيها ، ومن بين تلك المسلَّمات ، مسلَّمة (الفكر الاستعاري) والتي آمنت فيها العلوم العرفانية بأن الفكر بطبيعته ليس حرفيًا ، بل هو استعاري ، ففي أذهاننا مفاهيم تتنوع بين المجرّد والحسي ، وعندما نريد التعبير عن أحد تلك المفاهيم بصورة وافية وكاملة ، لا نتمكّن من ذلك ، إلا باستعمال الفكر الاستعاري ، فالذهن يعمل على إسقاط معارفه عن المفاهيم الحسيّة ، التي وصلت إليه من خلال تجربته الجسدية على المفاهيم المجرّدة ، التي لا يتمكّن من إدراكها ، كتعبيره عن مفهوم الزمن – وهو مفهوم مجرّد – من خلال الربط بينه وبين مفهوم المال ، وهو أسلوب استعمله القرآن الكريم في مواضع عديدة من آياته ، كالربط بين (فوز المؤمنين بالجنّة)، وبين (التجارة) ، فالأوّل مفهوم مجرّد والآخر نشاط فعلي مارسه العرب قديمًا ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف : ١٠] ، فضلًا عن المسلَّمات العرفانية الأخرى ، كمفهوم الجسدنة ، والفكر التخيلي، والفكر الجشطالتي ، والفكر غير الواعي وغيرها[٣].

وشكّلت تلك الأفكار والمسلَّمات مزيجًا مفهوميًا يغري بإعادة النظر في البلاغة عامّةً ، ومبحث الاستعارة أو المجاز بصفة خاصّة ، وذلك بعد أن سلّطت تلك الفرضيات والأفكار الضوءَ على زوايا كانت مظلمة نسبيًا ((إذ يبدو أن الدرس اللساني قد زحزح و أخّر كثيرًا دراسة الصورة الاستعارية ... ذاك أن اللسانيات قد اهتمت مدّة طويلة من الزمن

في معظم بحوثها وفي أوج ازدهارها بدراسة اللغة نظامًا وشكلًا وحلّلت النصوص بنيةً مغلقةً . بمناهج محايثة أبعدت الاستعارة ؛ لأنّها تقتضي الخروج عن النظام والبنية لأجل التأويل و إدخال المرجع الذي يكون دي سوسير قد أخرجه من مكونات دليله))[٤].

فلم يعد هناك من مبرّر يدعو إلى أن ينغلق باب البحث في الاستعارة على اللغة العليا ، أو الابداعية ما دامت العرفانية ترى من خلال مبادئها ومسلّماتها أن الفكر استعاري بطبيعته ، إذ لو بقيت الاستعارة حبيسة اللغة ، لأدّى ذلك إلى أن يكون التفكير في جانب كبير منه ترفًا لا يحظي به إلا الشعراء والمبدعون ، وهذه فرضية فاسدة من دون شكّ ، فـ ((الاستعارة ليست من ممتلكات الأدب ، و إنّما هي ظاهرة ذهنية وآلية تصورية ، قبل أن تكون لغويّة تمثّل بؤرة الاستعمال اللغوي العادي والابداعي))[٥].

تفرّغ علم الدلالة العرفاني – وهو أحد فروع اللسانيات العرفانية – لدراسة الاستعارة والكناية والمجاز ، واقتحم ميدان البحث فيها من خلال أربعة مداخل :

١ – المقوَلَة : وهي العملية التي ينظم بها الإنسان العالم من حوله ، فيجعل الأشياء والمفاهيم ضمن أصناف موحدة ، فالأسد مثلًا ينتمي لمقوَلَة تختلف عن المقوَلَة التي ينتمي إليها مفهوم مجرّد كالحبّ أو الكره [٦].

٢ – الفهم : وقد ارتبط عند العرفانيين بالإدراك البشري ، وبجملة العمليات المرتبطة به والتي لا يتوقف معها انتاج المعاني الجديدة[٧].

٣ – التجسّد أو الجسدنة : ويمثل ((جملة الآليات العصبية والعرفنية التي تمكننا من الأدراك ومن التنقل في ما يحيط بنا ، وهي الآليات نفسها التي تُنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا))[٨].

٤ – الخيال : وهو القوة الذهنية المسؤولة عن تركيب ، أو فصل الصور المحفوظة في الخيال بحسب الاختيار[٩]، كما أنّه يمثّل وسيلة مهمة تمكننا من إدراك العالم ، وتسمح لنا بالتواصل فيما بيننا[١٠].

تداخلت الاستعارة والكناية والمجاز في بحوث علم الدلالة العرفاني وحدث فيها خلط واضح ، وبالرغم من أن موضوع الخلط والتداخل ليس بجديد على هذه العلوم ، فهو مرافق لها منذ عهد نشأتها على يد أرسطو (٣٨٤ ق.م – ٣٢٢ ق.م)، واستمرّ مع الدراسات العربية ، إلا أنّنا نجد الخلط هذه المرة عائد إلى اختلاف اللغات والقواعد التي قامت عليها تلك المباحث فأخذ كلٌّ منها شكلًا مختصًا بلغةٍ ما ، يختلف فيها عن بقية اللغات ، ومن أمثلة هذا الخلط أننا وجدنا أمثلة التشبيه البليغ في العربية يُتعامل معها على أنّها استعارة ، كما تشابك المجاز المرسل مع الكناية في المفهوم والسيرورة الانتاجية .

الاستعارة في الرؤية العرفانية :

تجلّت النظرة إلى الاستعارة في علم الدلالة العرفاني من خلال ثلاثة أبعاد :

البعد الأوّل : تمثّل هذا البعد في الإقرار بأن ((موقع الاستعارة ليس في اللغة على الاطلاق ، وإنّما في الكيفية التي نمفهم (conceptualize) بها مجالًا ذهنيًا ما ، وفقًا لمجال آخر))[١١]. فهي ذات طبيعة تصورية ذهنية لا لسانية ، إنها موجودة ((في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضًا ، إن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس))[١٢].

ويمكننا أن نفسر ذلك بالقول ، أننا في حياتنا عامّةً ، نفكر ونعمل ونسلك وفق أنساق مستعارة ، أو لنقل مستنسخة من أنساق أخرى ، خُزّنت في أذهاننا مسبقًا، وتراكمت لدينا من خلال تجاربنا الجسدية (الفيزيائية) والممارسات الثقافية والاجتماعية ، ولنأخذ مثلًا ميدان السياسة ، فقد تُستعار التجربة الدينية في بعض أشكالها للسلوك في هذا المجال ، ونجد ذلك حاضرًا في البروتوكولات الدولية أو السياسة الخارجية ، أو السلوك عند لقاء أحد الشخصيات المهمة وغيرها من الممارسات ذات العلاقة ، كما تعدّ تجربة المحكمة من التجارب المستنسخة ، أو المستعارة من الممارسات الدينية ، فمشهد القضاة ، وطريقة جلوسهم ، و وقوف المتهم والشهود وهيأة المحلفين والحضور ، وكلّ تلك المشاهد تعبّر بشكل من الأشكال عن التصورات الدينية لمشاهد القيامة والحشر، التي تحفل بها الكتب السماويّة ، إذ يبدو تأثير تلك التصورات النابعة من الثقافة الدينية بارزًا بوضوح في ذلك النوع من الممارسات الاجتماعية ، وبذلك فهي نوع من الاستعارة غير اللسانية .

كما تظهر الاستعارة في ((الرسوم الكارتونية ، والأعمال الأدبية ، والأحلام ، والرؤى ، والأساطير))[١٣]. يدلّنا ما سبق على أن الاستعارة من المنظور العرفاني ، تمثل آلية تصورية إدراكية كامنة في الذهن ، وهي موجودة في تفكيرنا وأعمالنا ولها تجليات لغوية وغير لغوية .

البعد الثاني : يمثّل هذا البعد منطلقًا مفاده أنّ وجود الاستعارة لا يقتصر على اللغة الابداعية ، بل هي في حقيقة الأمر موجودة في اللغة اليومية أيضًا ، وأنّها في متناول الجميع ، وذلك بعد إن كانت الاستعارة في النظرة الكلاسيكية تعد نوعًا من الزخرف اللفظي الذي يأتي به الشعراء لتزيين قصائهم، ويمكن لعامة الناس من غير المبدعين الاستغناء عنها من دون عناء ، ما داموا لا يرومون قول الشعر[١٤].

و لإثبات صحة هذه النظرة الجديدة للاستعارة ، أُجريت بحوث ميدانية على مجموعة من البشر في فئات عمرية مختلفة ، وتوصلت تلك الدراسات إلى نتائج تفيد بأن الاستعارة موجودة لدى جميع البشر، ومن بينهم الأطفال وفي مراحل عمرية مبكرة[١٥]. وقد أشار د. عبدالإله سليم إلى ((أنّ أساليب المجاز... تظهر مبكرة على ألسنة الأطفال دون أن يكون لهم قصد جمالي ، لقد راكمت الأدبيات في السنين الأخيرة عدّة أبحاث ذات طابع تجريبي إحصائي ، أكّدت أنّ الطفل يُنتج على الأقل الاستعارة بامتياز ، واستخلصوا من ذلك أنّها أساسية في التعلم ، حيث أن سحب وحدات معجمية مخزّنة على وضعيات جديدة تساعد الطفل على تنظيم العالم المحيط به ، وعلى تجاوز الحبسات التواصلية))[١٦].

ويدلّنا هذا الكلام بوضوح على أن الاستعارة ترافق عملية اكتساب اللغة ، وهي تنشأ مع الأفراد منذ الصغر ، وبعبارة أخرى ، فالاستعارة وسيلة ذهنية إدراكية تنظم العالم من حولنا ، وكما يولد الأفراد وهم مزودون بالآليات التي تمكنهم من اكتساب اللغة ، فإن الاستعارة تعد من ضمن تلك الآليات ، وحينها يمكننا القول أن عملية حصرها داخل ميدان الشعر ، سيؤدي بالضرورة إلى حجب الكثير من الحقائق المتعلقة بهذه المَلَكة الذهنية .

البعد الثالث : يتمظهر هذا البعد في أهمية الاستعارة وخطورة الدور الذي تؤديه في حياة الإنسان ، وقد استحقت الاستعارة تلك الأهمية من المنزلة التي حظى بها التخيّل ، أو المجاز عامة بكل صنوفه (الاستعارة والمجاز المرسل والكناية) في العقل بوصفه ((مكونًا مركزيًا من مكونات العقل لا مكونًا زائدًا ينضاف إلى الحقيقة))[١٧]. فالاستعارة بحسب الرؤية العرفانية وسيط بيننا وبين العالم ، وبها نؤسس مفاهيمنا ، فنحن إذن نحيا بالاستعارة ، أو بحسب تعبيرنا في هذه الأيام ، فإنّ الاستعارة تمثّل (أسلوب حياة).

ومثلما تعدّ الاستعارة (أسلوب حياة) فإنّها ومن جانب آخر ، يمكن أن تتحول إلى أداة للقتل ووسيلة للتدمير ، وهذا ما سعى جورج لايكوف إلى إثباته في كتابه (الاستعارات التي تقتل) ، إذ تناول فيه ثلاث مقالات سياسية مختلفة ، أثبت من خلالها أن الاستعارة قد تكون أداة فعالة في تزييف الحقائق ، وتشويش الأذهان ، وتغطية بشاعة الحروب وآثارها المدمرة ، وتسويغ القتل والاحتلال من خلال إطلاق الخطب السياسية الرنانة ، التي يستعمل فيها القادة السياسيون الاستعارة كوسيلة لإثارة المشاعر وإيقاد نيران الحرب [١٨].

نظرية الاستعارة التصورية لـ لايكوف وجونسون

قال الأزهر الزناد في حديثه عن مفهوم نظرية الاستعارة التصورية التي يعبّر عنها اختصارًا (CMTs) ، إنّها((تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعددة روافدها في إطار اللسانيات العرفنية ، ولعل اقترانها بلايكوف عائدٌ إلى ما له

فيها من صهر وبلورة ، وما لآثاره من رواج ، وما لطريقته في العرض والبسط من الوضوح والنجاعة . ولهذه النظرية مبررات عامّة تتصل بطبيعة الفكر عامّة وبالاستعارة والمجاز خاصّة))[١٩]. طُرحت هذه النظرية في كتاب مشترك ألّفه (جورج لايكوف) وهو لساني أمريكي ولد عام ١٩٤١م ((توليدي الانتماء دلالي الاختصاص وأصبح علمًا من الأعلام المؤسسين للسانيات العرفنية))[٢٠] ، برفقة الفيلسوف الأمريكي (مارك جونسون) المولود عام ١٩٤٩م ، وكان عنوان الكتاب Metaphors we live by (الاستعارات التي نحيا بها)، نُشر عام ١٩٨٠م .

عرّف المؤلفان الاستعارة بأنها ((وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر ، و وظيفتها الأولى الفهم))[٢١] ، كما يضبط زولتان كوفكسيس تعريفًا للاستعارة التصورية ، يقول فيه : ((إذا فهمنا مجالًا تصوريًا (Conceptual domain) من خلال مجال تصوري آخر ، فنحن نكون إزاء استعارة تصورية . وهذا الفهم يكتمل بالنظر في مجموعة من التطابقات الآلية (Systematic correspendances) أو الاسقاطات mappings بين هذين المجالين))[٢٢].

ولتوضيح المقصود بـ (المجال التصوري) نقول إنّه مفهوم ينحدر من إيمان اللسانيين العرفانيين بأن للمعنى طبيعة موسوعية ، وبسبب هذه الطبيعة يتعذر إدراك المفاهيم المعجمية بصورة مستقلة عن الأبنية المعرفية الأخرى ، ويمكننا تعريف المجال التصوري بعبارة مبسطة ، بأنّه يمثّل كل ما نمتلكه من معارف ذهنية حول شيءٍ ما ، أو مفهومٍ ما .

ولكن كيف تحدث الاستعارة بحسب النظرية التصورية ؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول : تحدث الاستعارة وفقًا للنظرية التصورية من خلال ما يسمى بعملية (الاسقاط المفهومي) أو التناسبي ، وهي عملية تبدو ذات مظهر رياضي ، يجري الذهن خلالها جملة من التناسبات أو التطابقات بين مجالين تصوريين ذهنيين مختلفين عن بعضهما البعض ، وقد يكونان متباعدين تمامًا لا رابط بينهما ، فيُسقط المعارف المتعلقة بالمجال الأول ويطلق عليه (المجال المصدر) ، على المجال التصوري الثاني ويدعى (المجال الهدف) ، ويكون المجال الهدف هو المقصود بالاستعارة ، بمعنى أنّه هو المجال الذي يضم المفهوم المراد الكشف عنه بوساطة الاستعارة[٢٣] ، والذي نراه أنّ هذين المصطلحين (المجال المصدر والمجال الهدف) يقابلان مصطلحي (المستعار منه والمستعار له) على التوالي ، في مفهوم الاستعارة العربية .

ومن الأمثلة التي ذكرها لايكوف وجونسون لتجليات الاستعارة التصورية في اللغة ، مثال (الحياة رحلة) ويجري فيه بَنْيَنَة مفهوم (الحياة) وهو يمثّل مفهومًا مجردًا من خلال مفهوم معلوم وهو مفهوم (الرحلة) ، إذ رُصدت أوجه التشابه بين المجالين التصوريين لكلّ منهما ، من خلال عملية الاسقاط التناسبي ، بالشكل الآتي :

الرحلة	الحياة

نقطة انطلاق	=	لحظة الميلاد
مسافر	=	إنسان على قيد الحياة
أحداث الرحلة (سعادة أو شقاء)	=	أحداث يعيشها الإنسان ، محطات الحياة (سعادة أو شقاء)
نقطة وصول (انتهاء الرحلة)	=	موت الإنسان (انتهاء الحياة)

وكذلك مثال (الجدال حرب) ، و (الزمن مال)، كل هذه الأمثلة تعبّر عن استعارات منتشرة في حياتنا ، حدث فيها ربط بين مجالين تصوريين مختلفين بالكيفية التي أشرنا إليها في المثال الأول . وقد نبّه لايكوف وجونسون إلى أن هذه الاستعارات ((لا تمدنا سوى بفهم جزئي لما هو ... الجدال وما هو الزمن ، وهي بهذا تخفي مظاهر أخرى لهذه التصورات ، إنّه من المهم أن نفهم أنّ البَنْيَنَة الاستعارية التي نتحدث عنها هنا ، جزئية وليست كلية . ولو كانت كلية لكان تصور ما تصورًا آخر عوض أن يكون متضمنًا فقط في تصور آخر ، فالزمن مثلًا ليس مالًا حقًّا ، إذا أعطيت بعضًا من وقتك في محاولة فعل شيءٍ ما ، و لم تحصل على نتيجة فإنّه لا يمكنك استرداد وقتك ، ولا نوجد أبناك يودع فيها الوقت ، وبإمكاني أن أمنحك الكثير من وقتي إلا أنّه ليس بإمكانك إرجاع وقتي إليَّ وإن أعطيتني نفس الكمية من الوقت ، إن التصور إذن غير كافٍ جزئيًا))[٢٤]. هذا النوع من الاستعارات المنتشرة في اللغة اليومية هو الذي شُغلت النظرية التصورية بدراسته ، خلافًا لما كان سائدًا في الدراسات البلاغية القديمة ، والتي صُرفت الجهود فيها على البحث عن صور الاستعارة في ميدان الشعر والأدب ، وذلك عائد لإيمان منظّري الاستعارة بأن أعلى مستويات وجودها يتمثّل في نظام المحادثة اليومية ، وأننا بحاجة إلى الوعي بهذا النظام أكثر من حاجتنا إلى الوعي بالنظام الشعري[٢٥] .

أنواع الاستعارة في النظرية التصورية:

صُنفت الاستعارة في النظرية التصورية ، إلى صنفين رئيسيين هما :

أوّلًا : الاستعارة الوضعية : وهي ((استعارة عادية ودائمة الحضور في لغة البشر ، بعيدة كل البعد عن أي قصد إبداعي تخييلي ، حيث نعتبرها مجرد أوصاف مباشرة للظواهر الذهنية ، وفيها يتجلى الطابع الاستعاري في اللغة، والبنية

التصورية للإنسان وهي تلازم حياتنا))[٢٦] ، وبذلك فإن الاستعارات الوضعية هي تلك الاستعارات التي يشترك فيها الجميع من دون تفريق ، ولا تفاضل ، ولا دور للإبداع في إنتاجها .

ثانيًا : الاستعارات غير الوضعية (الإبداعية) : وهي ذلك النوع من الاستعارات التي لا يتمكن من الإتيان بها إلا الشعراء ، أو المبدعون عامّة ، إذ يبدوا هذا النوع من الاستعارات ((كأنّه تشويشٌ على النسق المعرفي ، إنّه ينحو في اتجاه تصورات جديدة ، وخلف ترابطات غير مسبوقة بين الموضوعات والأوضاع . يستطيع هذا النوع من الاستعارات أن يلاحظ المشابهة بين موضوعات مختلفة تمامًا))[٢٧].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ آلية الاستعارة واحدة بين المبدع والإنسان الاعتيادي ، وهي قدرة موجودة عند كليهما ، إلا أنّ المبدع قادر على الربط بين الأنساق التصورية بطرق مغايرة لطرق الربط المألوفة ، كما أنه قادر على إيجاد تشابهات بين أنساق تصورية ليست معروفة عند الإنسان الاعتيادي ، وذلك من خلال ذكائه وتميزه الفكري والثقافي ، ممّا يؤدي إلى خلق استعارة إبداعية ، ذات قدرة تأثيرية على المتلقي ، كما أنّها تحمل شحنة عاطفية ، جعلت الناس تهتم بها وتركز على دراستها، ولا تلقي بالًا إلى الاستعارات التي تُنتج يوميًا وفي جميع أنواع الخطابات ومن جميع الناس دون تمييزه وبصفة دائمة.

وقد قُسمت الاستعارات الوضعية هي الأخرى ، ثلاثة أقسام :

أوّلًا : الاستعارة الاتّجاهية : استمد هذا النوع من الاستعارة تسميته من ارتباطه بدلالة المكان[٢٨]، فهي تنظم ((نسقًا كاملًا من التصورات المتعالقة... إذ إن أغلبها يرتبط بالاتّجاه الفضائي : عال – مستفل ، داخل – خارج ، أمام– وراء ، فوق – تحت ، عميق – سطحي ، مركزي – هامشي))[٢٩]، وتنشأ هذه الاستعارة من طبيعة أجسادنا ، من ناحية الشكل أو حركة الأعضاء في الوجود الفيزيائي ، وهي تمنح تصوراتنا بُعدًا فضائيًا أو دلالة مكانية . فتصور مثل (السعادة فوق والشقاء تحت) هو الذي يبرّر وجود تعبيرات كـ (ارتفعت معنوياتي ، أحس أنني في قمة السعادة اليوم). فنحن نتصور السعادة ضمن الاتّجاه الفضائي فوق ، فهي ترتبط عندنا بالشعور بالعلوّ والارتفاع ، بينما يحمل تعبير مثل (إنني منهارٌ) إيحاءً بالحزن والانكسار[٣٠]. وهذه التصورات ليست اعتباطية ، بل هي مرتكزة على أساس تجربتنا الفيزيائية حيث ((ترتبط وضعية السقوط بالشقاء والانهيار ، وترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية))[٣١].

ثانيًا : الاستعارة البنيوية : وهي الاستعارة التي يجري فيها ((بَنْيَنَة تصورٍ ما استعاريًا عن طريق تصور آخر))[٣٢]، وهذا يعني أنها وسيلتنا لإدراك بعض المفاهيم في حياتنا من خلال إدراكنا لمفاهيم أخرى .

قدّم لا يكوف وجونسون عددًا من الأمثلة التي توضح هذا النوع من الاستعارات الوضعية ، فهي تنتشر في حياتنا بأشكال متعددة ، ومن بين تلك الأمثلة استعارة (الجدال حرب) ، وهي تمثّل تصورًا استعاريًا لمشهد من مشاهد حياتنا ، وهو مشهد (الجدال) الذي نتصوره من خلال تصورنا لمفهوم (الحرب) .

يمثّل مفهوم (الحرب) ، ومفهوم (الجدال) نمطين مختلفين من الأشياء ، فالجدال يكون بالكلام ، والحرب تعبر عن صراع مسلّح ، وكلّ منهما يتطلب إنجاز أفعال مختلفة ، ولكن الجدال يمكن بَنْيَنَته وفهمه ، والحديث عنه جزئيًا من خلال تصور الحرب ، وهذا يعني أن التصور والنشاط العلمي المرتبط به مُبَنْيَنان استعاريًا[٣٣].

ولذلك نحن نعبّر عن الجدال باستعمال ألفاظ الحرب ، والأمثلة في لغتنا عن ذلك كثيرة ، من بينها :

- دافع عن رأيك .
- أمطرته بوابلٍ من العبارات القاسية .
- هاجم الأستاذ آراء تلميذه .
- هزم الأب أبنه في النقاش .
- باغته بسؤالٍ آخر .

وكذلك بالنسبة لاستعارة (الغضب جنون) ، إذ يمثّل الغضب مفهومًا مجرّدًا يمكن بَنْيَنَتَه من خلال تصورنا عن الجنون ، ففي أذهاننا ثمة مشاهد مترسخة عن مفهوم الجنون ، وصلت إلينا من خلال تجربتنا الفيزيائية الشخصية ، فلربما صادفنا إنسانًا مصابًا بالجنون في بيئتنا ، أو من خلال عملنا في المستشفيات المتخصصة بعلاج هذا النوع من الأمراض ، أو قد نكون شاهدناه في الأفلام مثلًا أو غيرها من وسائل الإعلام ، فتحدث عندئذٍ عملية اسقاط ذهني لتصورنا عن الجنون وما يفعله بصاحبه ، فنربط بينه وبين الإنسان المصاب بالغضب ، ممّا ينعكس على سلوكنا معه خلال نوبة الغضب ، فقد نتجنبه أو نبتعد عنه ، وقد نسامحه لو وجّه لنا كلامًا جارحًا مثلًا .

ثالثًا :الاستعارة الانطولوجية (الوجودية) : قبل التطرق إلى مفهوم هذه الاستعارة ، يجب أن نوضح ما القصود بـ (الانطولوجيا) ؟

الانطولوجيا أو علم الوجود ((قسم من الفلسفة ، ويبحث في الوجود في ذاته مستقلًا عن أصوله وظواهره ، أو هو علم الوجود من حيث هو موجود ... وموضوع هذا العلم قد يُقصر على الوجود المحض ... أو يُوسع حتّى يشمل طبيعة الكائن الواقعي ، أو الموجود الشخص وماهيته ، وأهم مسائل هذا العلم تحديد العلاقة بين الماهية والوجود))[٣٤].

لقد انطلقت الاستعارات الانطولوجية من ذلك المفهوم ، وتعدّ من أكثر الاستعارات انتشارًا في حياتنا ، إذ ((تقوم على بَنْيَنَة ما هو مجرد انطلاقًا ممّا هو محسوس))[٣٥].

فمن خلال الاستعارات الانطولوجية يمكننا أن نتصور الأحداث والأعمال استعاريًا من خلال التعامل معها على أنّها أشياء ، كما يمكننا بوساطة هذه الاستعارات أن نتصور النشاطات والحالات بوصفها مواد وأوعية [٣٦]. ومن الأمثلة التي توضح ذلك :

- انفجر داخله بركان من الغضب. ← الغضب ، (كيان / مادة).
- فاض الحزن من عينيه . ← الحزن (مادة / شيء) .
- أنا في سعادة غامرة اليوم . ← السعادة ، (وعاء).

وهناك نوع آخر من الاستعارات الانطولوجية . يطلق عليها استعارات التشخيص أو الاستعارات التشخيصية ، وتتمثّل بإطلاق صفات بشرية على ما هو غير بشري ، ومن أمثلتها في لغتنا اليومية :

- طرق الفرح الأبواب بابًا بابًا .
- دخل الحبُّ قلبه .
- هجم الحزن عليه .

وبعد أن تعرضنا لأنواع الاستعارة في النظرية التصورية للايكوف وجونسون ، بقي أن نشير إلى أن تلك الأنساق أو التصورات الاستعارية بمختلف أنواعها لا تشتغل ((٠بشكل معزول ، بل إنّها تتفاعل في ما بينها))[٣٧]. فالاستعارة الاتّجاهية مثلًا قد تضم استعارة أنطولوجية ، فلو نظرنا إلى استعارة (معنوياتي مرتفعة اليوم) لوجدنا أنّها نتجت عن تفاعل عمليتين استعاريتين ، الأوّلى ، استعارة أنطولوجية نُظر فيها إلى المعنويات بوصفها (شيء) محسوس ، والأخرى استعارة اتّجاهية ، تمثّل تجليًا لغويًا للتصور الاستعاري (الجيد فوق _ الرديء تحت)[٣٨].

فضلًا عن ذلك فإن تلك الاستعارات التصورية التي يطلق عليها ، الاستعارات الكبرى ، أو كما يسمّيها جورج لايكوف في كتابه (النظرية المعاصرة للاستعارة) ، استعارات المستوى العام ، كاستعارة (الحياة رحلة) ، و (الجدال حرب) ، و(الزمن مورد) وغيرها ((لا تشكّل مصدر اشتقاق كثير من لغتنا اليومية وكلامنا العادي فحسب ، بل إنّها تشكّل مصدر تفريع استلزامات استعارية (Metaphorical Entailments) تبيّن نسقنا التصوري بشكل أكثر دقة))[٣٩] ، وهذا ما يلاحظه المطّلع على كتاب (الاستعارات التي نحيا بها) للايكوف وجونسون ، فكل استعارة تصورية كبرى ، تتجلى في عبارات استعارية متنوعة منبثقة عن ذلك الأصل ، والأمثلة التي أوردها المؤلفان بهذا الصدد كثيرة .

وفي نهاية هذا البحث نقول إن تصوراتنا عن المعاني حولنا بمختلف أشكالها ، تنتظم وفق أنساق تصورية ذهنية ذات مسارات محددة ، ناتجة عن تجربتنا الفيزيائية وثقافتنا ، وإنّ طريقنا للكشف عن هذه الأنساق ، هو اللغة ، وذلك ما يراه العرفانيون ، فاللساني العرفاني بمثابة الباحث الحاذق ، المزوّد بأدوات تعينه على فكّ رموز (شفرات) الخريطة الموصلة إلى الكنز ، والكنز هنا هو العقل البشري ، الذي تسعى العلوم العرفانية الأم ، من خلال جنودها (اللسانيين العرفانيين) إلى الوقوف على ماهيّته وكيفية اشتغاله ، من أجل محاكاة عمل ذلك الجهاز العظيم ، وتوظيف ذلك في خدمة البشر .

الهوامش :

(1) التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية ، بحث ، د. الحبيب المقدميني ، ٩٥.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ٩٧.

(3) محاضرة د. محمد بن ناصر كحولي (المدخل الأول في العرفانية) :

http://www.youtube.com@arabic-colleg ، وينظر اللسانيات العرفانية ودورها في دراسة مرتكزات الإدراك الذهني للغة ، بحث ، أ.د عبد اللاوي نجاة ، أ.د دين العربي ،١١٣، ١١٤، وينظر ، نظريات لسانية عرفنية ، الأزهر الزناد ، ١٤١.

(4) فهم الكلام الاستعاري ، أ.د فريدة بوساحة ، ٩، ١٠.

(5) الاستعارة التصورية في روايتي الطلياني لشكري المبخوت ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج _ مقاربة تداولية عرفانية ، أطروحة دكتوراه ، عواطف جعفري ، المقدمة ، أ.

(6) ينظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، محمد الصالح البو عمراني ، ٨ .

(7) ينظر: الاستعارة التصورية في روايتي الطلياني لشكري المبخوت ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج _ مقاربة تداولية عرفانية ، أطروحة دكتوراه ، عواطف جعفري ، ٣٩ .

(8) نظريات لسانية عرفنية ، الأزهر الزناد ، ١٩٠.

(9) ينظر: الاستعارة التصورية في روايتي الطلياني لشكري المبخوت ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج _ مقاربة تداولية عرفانية ، أطروحة دكتوراه ، عواطف جعفري ، ٤٠، نقلا عن (المعنى والتوافق : محمد غاليم) .

(10) ينظر: دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، محمد الصالح البو عمراني ، ٨.

(11) النظرية المعاصرة للاستعارة : جورج لايكوف ، ترجمة طارق النعمان ، ٧.

(12) المصدر نفسه ، ٢١.

(13) المصدر نفسه ، ٧٣، وينظر: توظيف أدوات البلاغة في النص المعاصر، د. إبراهيم بن منصور التركي : ١٢٩.

(14) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف ومارك جونسون ، تر، عبد المجيد جحفة ،٢١.

(15) ينظر: دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية ، بحث ، آسيا عمراني ،٥٥٥.

(16) بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية ، عبد الإله سليم ،٤٦.

(17) نظريات لسانية عرفنية ، الأزهر الزناد ، ١٤٢.

(18) ينظر: الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية ، بحث ، آسيا عمراني ،٥٥٥، نقلا عن (الاستعارات التي تقتل) جورج لايكوف ، تر، عبد المجيد جحفة ، وينظر: توظيف أدوات البلاغة في النص المعاصر، د. إبراهيم بن منصور التركي ، ١٤٣،١٤٤.

(19) نظريات لسانية عرفنية ، الأزهر الزناد ، ١٤٢.

(20) المصدر نفسه :٣٠.

(21) الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف ومارك جونسون ، تر،عبد المجيد جحفة ،٥٦.

(22) الاستعارة والكناية في الدراسات اللسانية العرفانية ، د. الحبيب المقدميني ، ٢، وينظر: الدلالة العرفانية من كيف النظم إلى كم التصور ، بحث ، د. أسماء حمايدية ،٢٨٨، ٢٨٩.

(23) ينظر: نظريات لسانية عرفنية ، الأزهر الزناد ،١٤٥.

(24) الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف ومارك جونسون ، تر، عبد المجيد جحفة ،٢١_٢٣ ، وينظر: المجازات الإدراكية بين النظرية والتطبيق إبراهيم ناجي نموذجا ، وداد محمد نوفل ،٢٨٧.

(25) ينظر: الرؤية التداولية للاستعارة ، بحث ، عيد بلبع ، ١٠٩.

(26) دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية ، بحث ، آسيا عمراني ،٥٥٦، وينظر: الاستعارة بين البلاغة العربية واللسانيات العرفانية دراسة في نماذج شعرية مختارة ، رسالة ماجستير ، آية بو زيدي ونورة بو علي ، وينظر: الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش انموذجا ، رسالة ماجستير، جميلة كرتوس ، ٤٢ ومابعدها .

(27) بنيات المشابهة في العربية ، عبد الإله سليم ، ١١٠.

(28) ينظر: الاستعارة التصورية في روايتي الطلياني لشكري المبخوت ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج مقاربة تداولية عرفانية ، أطروحة دكتوراه ، عواطف جعفري ، ١٠٩.

(29) الاستعارات التي نحيا بها ، جورج لايكوف ومارك جونسون ، تر، عبد المجيد جحفة ، ٣٣.

(30) ينظر: المصدر نفسه ،٣٤.

(31) المصدر نفسه :٣٤، وينظر: المجازات الإدراكية والبلاغية بين النظرية والتطبيق إبراهيم ناجي نموذجا ، بحث ، وداد محمد نوفل ، ٢٨٨.

(32) التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، محمد غاليم ،٩٦.

(33) ينظر: المصدر نفسه ، ٩٦.

(34) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية /ج٢، د. جميل صليبا ،٥٦٠.

(35) نظريات الاستعارة في البلاغة العربية ، عبد العزيز الحويدق ،٢٦٩.

(36) ينظر: الاستعارات التي نحيا بها ، ٤٨.

(37) بنيات المشابهة في العربية مقاربة معرفية ، عبد الإله سليم ، ٧٢.

(38) ينظر: المصدر نفسه ، ٧٢.

(39) المصدر نفسه ،٧٣.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١_ بلبع ، عيد ، الرؤية التداولية للاستعارة ، بحث ، مجلة علامات ، العدد ٢٣.

٢_ بو زيدي ، آية ، وبوعلي ، نورة . الاستعارة بين البلاغة العربية واللسانيات العرفانية دراسة في نماذج مختارة ، رسالة ماجستير ، اشراف محمد يزيد سالم ، جامعة بانتة – الجزائر ،٢٠٢٢_٢٠٢٣ .

٣_ بوساحة ، فريدة . فهم الكلام الاستعاري ، بحث ، مجلة الآداب ، العدد ١٦، ٢٠١٦.

٤_البو عمراني ، محمد صالح ، ط١، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس _ تونس ،٢٠٠٩.

٥_ التركي ، إبراهيم بن منصور ، ط١، توظيف أدوات البلاغة في النص المعاصر ، النادي الأدبي بالرياض ، ٢٠١١.

٦_ جعفري ، عواطف ، الاستعارة التصورية في روايتي الطلياني لشكري المبخوت ومملكة الفراشة لواسيني الأعرج مقاربة تداولية عرفانية ، أطروحة دكتوراه ، اشراف : فطومة لحمادي ، جامعة العربي التبسي ، ٢٠١٨/٢٠١٩.

٧_ الحباشة ، صابر، ط١، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع _ مباحث لغوية ، بحث ، التحليل الدلالي في

المقاربة العرفانية ، د. الحبيب المقدميني دار وجوه للنشر والتوزيع ، الرياض _ السعودية ، ٢٠١٩.

٨– حمايدية ، أسماء ، الدلالة العرفانية من كيف النظم الى كم التصور ، بحث ، مجلة اللغة العربية ، العدد١، المجلد ٢٥، ٢٠٢٣.

٩_ الحويدق ، عبد العزيز ، ط١. نظريات الاستعارة في البلاغة العربية من ارسطو الى لايكوف وجونسون ، دار كنوز للمعرفة والنشر والتوزيع ،٢٠١٥.

١٠_ الزناد ، الأزهر ، ب . ط ، نظريات لسانية عرفنية ، دار محمد علي للنشر، د. ت .

١١_ سليم ، عبد الإله ، ط١، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقاربة معرفية ، دار توبقال للنشر ، ٢٠٠١.

١٢_ صليبا ، جميل ، د. ط ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية /ج٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢.

١٣_ عمراني ، آسيا ، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية ، بحث ، مجلة آداب الكوفة ، العدد٤٥،ج٢، ٢٠٢٠.

١٤_ غاليم ، محمد . ط١، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ،٢٠١١.

١٥_ كرتوس ، جميلة . الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية لماذا تركت الحصان وحيدا لمحمود درويش إنموذجا ، رسالة ماجستير ، اشراف بو جمعة شتوان ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، الجزائر،٢٠١١.

١٦_ لايكوف ، جورج ، د.ط النظرية المعاصرة للاستعارة ، تر، طارق النعمان ، مكتبة الإسكندرية _ مصر ،٢٠١٤.

١٧_ لايكوف جورج ، وجونسون مارك ، د. ط ، الاستعارات التي نحيا بها ، تر، عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ،٢٠٠٩.

١٨_ كحولي ، محمد بن ناصر، المدخل الأول في العرفانية ، محاضرة :
http://www.youtub.com\@arabic-colleg

١٩_ نجاة ، عبد اللاوي والعربي ، دين . اللسانيات العرفانية ودورها في دراسة مرتكزات الإدراك الذهني للغة ، بحث ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب ، المجلد٣، العدد٤، ٢٠١٩.